من افتراءات المستشرقين على المعجزات النبوية (انشقاق القمر، والإسراء والمعراج)

في المقال السابق، ونحن نتابع، ونرصد افتراءات المستشرقين على الآيات والمعجزات النبوية التي جاءت على يد المصطفى -عليه الصلاة والسلام- فندنا ما زعمه المستشرق (شريك، وزميله كاراد فو، ونيكلسون، وغيرهما) حينما زعموا استحالة الإتيان بالمعجزات، وخوارق العادات على يد الأنبياء، وأن نبينا -عليه الصلاة والسلام- اعترف بذلك -حسب زعمهم-. والقرآن الكريم لم يؤكد إثبات معجزات له -عليه الصلاة والسلام- وظن هؤلاء أنهم أتوا بالقاضية! ولكن خاب ظنهم، وبان عوار فكرهم، وسوء منطقهم، حيث أتينا -بعون الله تعالى- ببراهين ساطعة من القرآن الكريم، وأقوال النبي المصطفى، والواقع المشهود، وبراهين من الكِتاب المقدس عند النصارى، تؤكد بطلان ما زعموا، وفساد ما سطروا.

أ.د/ عبد المنعم فؤاد (*)

وفي هذا المقال سنتعقب -بعونٍ منه جل وعلا- بقية ما ساقوا من أمثلة مثل: زعمهم: استحالة انشقاق القمر، ووقوع الإسراء والمعراج - حسب ما وسوس به الشيطان لهم، ﴿لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ﴾ (الأنفال: ٤٢)

(١) ثبوت الانشقاق للقمر في عهده ﷺ:

أما الزعم الذي ذكره هؤلاء -السابق ذكرهم- في موسوعة: دائرة المعارف الإسلامية[١]، بأن القمر لم ينشق في عهد النبي ﷺ.

بل اخترع الصحابة ذلك بعد وفاة المصطفى -عليه الصلاة والسلام- وأن المراد بقوله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ (القمر: ١)، بأن هذه علامة ستكون يوم القيامة فحسب، فهو زعم خاطئ، لما قاله ابن كثير -رحمه الله-: من أن الانشقاق قد كان في زمان رسول الله ﷺ، كما ورد ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة.. وهذا أمر متفق عليه بين العلماء.

إن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات[٢] «وقد

(*) عميد كلية العلوم الإسلامية للوافدين.

(١) ج٢ - ص١٠٨ - وج٣ ص٤٨٥.

(٢) تفسير ابن كثير، ج٤ ص٢٦٦.

شاهد الناس هذه المعجزة عيانًا في أنحاء الجزيرة العربية، وخارجها حتى إنه أُرِّخَ بذلك في بعض بلاد الهند»[٣].

وتأكيدًا لما ذكره ابن كثير في تفسيره، وكتابه (البداية والنهاية) نذهب إلى كتب الصحاح فنرى أنس بن مالك -رضي الله عنه- يخبر:

«أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما»[٤].

وكذلك عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- يقول:

«بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنًى إذ انفلق القمرُ فلقتين فكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه، فقال لنا رسول الله ﷺ: اشهدوا»[٥].

وروي عن ابن عمر -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ مثل ذلك[٦].

وأيضًا أخبر ابن عباس -رضي الله عنهما- أن القمر انشقَّ على زمان رسول الله ﷺ[٧].

وجاء في كتاب تفسير القرآن عن الترمذي عن محمد بن جبير عن أبيه قال: انشق القمر على عهد النبي ﷺ حتى صار فرقتين على هذا الجبل، وعلى هذا الجبل، فقالوا -أي الكفار-: سَحَرَنا محمد، فقال بعضهم: لئن كان سحرنا ما يستطيع أن يسحر الناس كلَّهُم[٨].

وعلى ضوء هذه الأخبار الصحيحة قال أهل العلم:

ومن آيات رسول الله ﷺ الدالة على نبوته ما هو في العالم العلوي، كانشقاق القمر، وبيَّن أن الله فعله وأخبر به لحكمتين عظيمتين:

أ- كونه من آيات النبوة إجابة لسؤال المشركين أن يروا آية فأراهم انشقاق القمر.

ب- أنه دلالة على جواز انشقاق الفلك، وأن ذلك دليل على ما أخبرت به الأنبياء من انشقاق السماوات ولهذا قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ (القمر: ١).

فذكر انشقاق القمر دون الشمس، وسائر الكواكب؛ لأنه أقرب إلى الأرض من الشمس والنجوم، ولأنه الجسم المستنير الذي يتَّضح الانشقاق فيه لكلِّ من يراه ظهورًا لا يتمارى فيه، وكان النبي ﷺ يقرأ بهذه السورة في المجامع الكبار مثل: صلاة الجمعة، والعيدين؛ ليسمع الناس ما فيها من آيات النبوة، ودلائلها، والاعتبار بما فيها، وكل الناس يُقرّ بذلك، ولا يُنكره، فعُلم أن انشقاق القمر كان معلومًا عند الناس عامة[٩].

فإن جاء بعض من المستشرقين الآن ليفتري على ثبوت هذه الآية بالكذب فهذا دليل على عمى

(٣) البداية والنهاية، ج٣ ص١١٨ - ١٢٠ بتصرف.

(٤) ٢٨: صحيح البخاري، ج٧ ص١٨٣ حديث رقم ٣٨٦٨ في كتاب مناقب الأنصار باب انشقاق القمر. وصحيح مسلم، ج٤ ص٢١٥٩ رقم ٢٨٠٢ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم باب انشقاق القمر.

(٥) صحيح مسلم، ج٤ ص٢١٥٨ حديث رقم ٢٨٠٠.

(٦) نفسه حديث رقم ٢٨٠١.

(٧) نفسه حديث رقم ٢٨٠٣.

(٨) سنن الترمذي، ج٥ ص٣٨٩ باب ٥٤.

(٩) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسح، ج٤ ص١٦٢ ابن تيمية



البصيرة وزيغان العقل، خاصة إذا علمنا أن القمر مخلوق لله تعالى يفعل فيه ما يشاء، كما يفنيه، ويكوره في آخر أمره متى شاء، وكيف شاء.

وصحابة رسول الله ﷺ ما اخترعوا قصة الانشقاق بعد النبي ﷺ حسب ما افتراه هؤلاء - بل نقلوا إلينا بكل أمانة ما هو ثابت حقًا، ومعلومٌ عند الناس، ولا ينكر ذلك كما يقول الزجاج:

إلا كل مبتدع أو مخالف للملة[10] - كما هو حال الحاقدين من المستشرقين والكافرين على مر العصور-.

(٢) معجزة الإسراء والمعراج حقيقية لا خيال:

الإسراء: هو السير ليلًا. والمعراج: هو سلم الصعود إلى السماء. والمقصود هو انتقال النبي ﷺ من مكة إلى بيت المقدس، ثم الصعود إلى السماوات العلا، ثم سدرة المنتهى، ثم إلى حيث شاء الله، كل ذلك في جزء يسير من الليل بوسيلة البراق[11].

ولئن ظنَّ المستشرقون أن الإسراء خيال لا حقيقة، أو رؤيا منامية لا يقظة فإننا على العكس من ذلك تمامًا، فنحن نرى أن هذه المعجزة بكاملها حقيقة لا خيال، ويقظة لا أضغاث أحلام، ومن صدَّق بها فهو مؤمن حقًا، ومن كذَّب بها فقد جانب الصوابَ، وبعد عن جماعة المؤمنين خاصة في الإسراء الذي ثبت بنصٍّ واضح بُيِّنَ في قوله تعالى: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآ ﴾ (الإسراء: ١).

فإن جاء مستشرق مثل (شريك) وشكَّك في موقع الآية في كتاب الله، وقال لا نعلم أهي من سورة الإسراء أم لا!، فهذا أمر يرجع إلى جهله هو، وقلة معارفه، أما أبناء الأمة فكل واحد يعلم أن الآية في سورة الإسراء، وأن مكانها الذي وضعت فيه مكانٌ توقيفيٌّ، بمعنى أن الرسول ﷺ هو الذي أشار إلى وضعها في موضعها الذي هي فيه الآن، وأن الصحابة الأجلاء علموا ذلك، ونقلوه إلينا بالتواتر منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان، فمن يأتي ليشكك في ثبوتها، وموقعها فهو جاهلٌ، وجهولٌ، ولا يصح أن يُلزِم أحدًا بجهله المركَّب.

أما المعراج فقد أشارت إليه سورة النجم في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ١٥ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ١٦ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ١٧ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ﴾ (النجم: ١٣ - ١٨).

فمطلع سورة الإسراء يقول: ﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآ ﴾ وصدر سورة النجم يقول: ﴿ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ﴾.

وعلى ذلك فالحكمة من الإسراء والمعراج متمثلة: في رؤية الآيات الكونية -أرضية، وسماوية- تسليةً للرسول ﷺ وتخفيفًا عنه من بعض ما نزل به من مضايقات بعض المشركين له ﷺ، وقد تحققت الحكمة، ووقعت المعجزة، وصدّق بوقوعها كلُّ مؤمن صادق الإيمان.

ومن يشك في وقوعها يُعدُّ جاهلًا ويفسق وإن ادعى الإسلام[12]، بل يعلم المسلمون مظاهر نفاقه «لأنها مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بقضية النبوة وتصديق الرسول ﷺ. ومن ثَمَّ كان أبو

(١٠) انظر: هامش صحيح مسلم، ج٤ ص٢١٥٨ تعليق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(١١) انظر: نور العقيدة ص١١٢.

(١٢) طبعة أخبار اليوم - للمزيد انظر: تفسير الشعراوي ج١٢ - ص٨٣٢٩.

بكر واضحًا في ذلك تمامًا حينما حكى أمامه المشركون أن صاحبه ﷺ يقول: إنه أُسرِيَ به الليلةَ إلى بيت المقدس، ثم عُرج به إلى السماء، فقال أبو بكر: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم.

قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق.

قالوا: أتصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يُصبح؟

قال: نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدِّقه في خبر السماء في غدوة أو روحة، ومِن يومها سُمي صِدِّيقًا[١٣].

ليس كل عجيب ينكر:

إن أبا بكر كان صادقًا، وصِدِّيقًا، ويستحق هذا الوسام النبوي الذي أطلق عليه بجدارة، فأمر الإسراء والمعراج بالفعل أمر عجيب ومثير للدهشة عند المشركين قديمًا، وعند المستشرقين حديثًا.

ولكن العجب والدهشة شيء، والإنكار شيء آخر، فإن كان هؤلاء، وأولئك أنكروا كما هو واضح فليس كل عجيب ينكر، ولا كل مدهش غير واقع.

فالمعجزات جميعًا مدهشة مثيرة، ولكنها واقعة، وثابتة، وغرائب المخترعات كذلك تثير تساؤلات لدى العامة، والخاصة، ولكن نصدِّقُ بها ونحسُّ بها ونلمس آثارها[١٤]. ولا يستطيع أحد أن ينكرها.

فلماذا يساير المستشرقون حديثًا الكافرين قديمًا، وهم المطلعون، والقارئون، ولغرائب المخترعات يشاهدون ولا ينكرون. اللهم إلا إذا كان الأمر مبيتًا بليل؟!!!

يكمل -إن شاء الله تعالى-.



(١٣) في نور العقيدة، ص١١٣، ١١٤.
(١٤) المصدر السابق ص١١٤.